الوعي البيئي في فكر الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)

م.د. حسين جبار طعمة
قسم الإعداد والتدريب
المديرية العامة للتربية في ميسان

قال تعالى في كتابه الكريم...

بسم الله الرحمن الرحيم
﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾

صدق الله العلي العظيم
سورة النمل: الآية ٨٨

الفصل الأول

مشكلة البحث

لقد كثرت البحوث والدراسات التي أشارت إلى موضوع الوعي البيئي والتربية البيئية، وحسب قراءة الباحث لأدبيات الموضوع، لم تأخذ بشكل جدي النظرة الإسلامية وما تحويه من قيمة كبيرة في تحليلاتها ومضامينها وسبل معالجتها للظواهر البيئية وإدراكات الإنسان لما حوله من مواقف وأحداث كذلك إعدادها وبنائها للإنسان وسبل ديمومته واستمراره في التفاعل الحيوي بينه وبين الظواهر الطبيعية من جهة وبينه وبين بني البشر والبيئة البشرية من جهة أخرى وهي عملية الدمج بين علم النفس البيئي وعلم النفس الإسلامي كذلك الإرشاد البيئي والإرشاد الديني والإرشاد النفسي، خاصة وان الالتزام النظري والعملي بين الرؤيا الإسلامية والتجسيد الواقعي من شأنه أن يسهم في زيادة التوافق الاجتماعي والتكيف البيئي وقد أوصى الباحثون والمفكرون بالاهتمام بالوعي البيئي وقد أهملت كثيراً الدراسات الإسلامية خاصة التربية البيئية الإسلامية لما تعرض له البلد في واقعه السياسي من تحكم واضح إبان العهود السياسية المظلمة إبان عهد النظام البائد وفي الحقيقة لازال مستمراً محاولة طمس معالم الهوية الإسلامية خاصة فكر الأئمة (عليهم السلام) إذ لم يرتقِ إلى المستوى العلني الواضح الذي

من شأنه أن ينهض بالنفس البشرية ويسهم في استقرارها النفسي وقدرتها العقلية بما يتناسب وحجم التلوث النفسي والبيئي الراهن في مجتمعنا، لذلك انه لو ترك هذا الموضوع دونما اهتمام مطلوب ودونما تعمق فكري وتجسيد عملي فان انعكاساته السلبية ستؤدي بأبناء المجتمع إلى قلة الوعي البيئي وزيادة سلبية في المدركات الخاطئة خاصة وان المجتمع بحاجة إلى هذا النوع من أنواع الوعي.. سيما وان فكر الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) هو من فكر آبائه (عليه السلام) وصولاً إلى الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وقول الرسول هو كلام الله عزّ وجلّ، لذا ارتأى الباحث أن يضيف وبمحاولة موضوعية شيئاً عن فكر الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) في الوعي البيئي ليسهم في الإرشاد الإنمائي والوقائي البيئي ويقلل من آثار قلة الوعي البيئي السلبية في المجتمع العراقي.

أهمية البحث والحاجة إليه:

لقد اهتمت التربية الإسلامية بشكل كبير بموضوع التربية البيئية لما لها من تأثير كبير في عملية استقرار النفس والعقل وتكوين علاقة إيجابية حيوية بينهما، مما يخلق عنصر الحياة الصحية والإبداع والتقليل من أخطار التلوث البيئي والنفسي في المجتمع والحياة الاجتماعية برمتها، ولقد استخدم علماء المسلمين كلمة البيئة استخداماً اصطلاحياً منذ القرن الثالث الهجري، إشارة إلى الوسط الطبيعي (الجغرافي والمكاني والإحيائي) الذي يعيش فيه الكائن الحي، كذلك للإشارة إلى المناخ الاجتماعي (السياسي والأخلاقي والفكري) المحيط بالإنسان، وكلمة البيئة، بمدلولاتها العصرية، تعني كل ما هو خارج جلد الإنسان من موجودات، وكل ما بداخله من سوائل وموائع، إلا انه هناك استخدامات أخرى لكلمة البيئة مثل البيئة الوراثية والبيئة الاجتماعية والبيئة الثقافية والبيئة الريفية والبيئة الحضرية وغيرها.. وهو ما يضفي على البحث أهمية نوعية إذ إن اختلاف وتنوع البيئات يعني تنوع الوعي فهناك وعي بيئي صحي وثقافي وسياسي واجتماعي ووعي جزيئي ذري لمتغيرات الحياة كافة. أما عن نظرة الإسلام للبيئة والوعي البيئي فهي نظرة خاصة ومزيدة.. ((إذ إن الإسلام يتمتع بنظر أعمق وأوسع للبيئة، حيث يطالب الإنسان بأن يتعامل مع البيئة من منطلق أنها ملكية عامة يجب المحافظة عليها حتى يستمر الوجود وهذا هو أساس ما يسمى الآن بالتنمية المستدامة)). (مجلة البيئة: ٢٠٠٠: ١١)

إذ قال تعالى في كتابه الكريم: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾. (سورة الأعراف: آية ٧٤).

ولقد خلق الله آدم (ع) واستخلفه في الأرض ليعمرها وهيأ له بيئة نظيفة خالية من التلوث ولكن أبناء آدم على مر العصور لوثوا البيئة المحيطة بهم، عن قصد أو غير قصد، فمنذ أن عرفوا النار استخدموها لأغراضهم مثل الطهي وصهر المعادن والإنارة والتدفئة وحرق الغابات وما إلى ذلك بدأت البيئة المحيطة بهم تتلوث، ولكن هذا التلوث كان محدوداً، لا يتعدَ المحيط الذي يعيشون فيه ومع التطور الصناعي والمدنية بدأ التلوث البيئي

يشكل خطراً على صحة الإنسان وحياته ومنذ عام ١٩٦٠ بدء الانتباه لظاهرة تلوث البيئة يأخذ طريقاً جدياً، وذلك لوجود أدلة تشير أن تلوث البيئة بدأ يأخذ شكلاً حرجاً يهدد جميع الكائنات على سطح الكرة الأرضية ويمكن القول إن التلوث هو صورة من صور الفساد الذي أشار إليه القرآن الكريم، وهو ينتج أساساً من تدخل الإنسان في قوانين البيئة التي سنها الله عزّ وجلّ وإخلاله لتوازن عناصرها ومكوناتها (الحمد: ١٩٨٤: ١٣).

ونستنتج مما ذكر بأن القرآن الكريم قد أخبر بأهمية الوعي البيئي وخطر التلوث قبل ما ذكره علماء الغرب والمفكرون إبان الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر ١٨٧٩.. كما اهتم بالتنبؤ البشري (الايكولوجيا) ومحاولات كانت وارسنت ١٩٠٦ ((والتنبؤ البشري هو موشوع ينتمي إلى موضوعات علم النفس البيئي أو علم البيئة وصحة البيئة (Environmental Health, Ecology) إذ يهتم بالعلاقة المعقدة بين الحياة واللاحياة والذي يشير إلى العالم الحي الذي يتكون من عدة أنظمة بيئية (Ecosystems) إذ يوفر أو يهيئ الظروف المناسبة للنباتات والحيوانات لتعيش، ويجدد العناصر اللازمة لإبقائها أحياء (التوازن البيئي) (المرياتي: ٢٠٠٨: ١٧).

وفي ضوء ذلك فان تراثنا العربي الإسلامي كان ولا يزال حافلاً بالعلوم والعلماء ومن هنا تنطلق أهمية البحث في كونه يبرز دور العرب والحضارة الإسلامية في بناء الإنسان خاصة فكر الأئمة (عليهم السلام) وهو الإرث السلالي المنحدر من وراثة الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) علماً وأخلاقاً..

((وليس أحد من عباقرة العالم وعظمائه، أعظم فائدة على الإنسانية، ولا أكثر عطاء لها من الإمام جعفر الصادق وآبائه (عليهم السلام) فقد فتح هذا الإمام الملهم العظيم آفاقاً مشرقة من المعارف والعلوم ساهمت مساهمة إيجابية في صنع الحضارة الإنسانية، وتطوير وسائلها في جميع المجالات، ولقد اتسعت علوم الإمام ومعارفه فشملت أسرار الكون، ومظاهر الوجود وتعددت إلى الفضاء الخارجي، وسكان الكواكب، وغير ذلك مما يثير الدهشة، وقد عني الإمام (عليه السلام) عناية كبيرة بالصحة والبيئة والطب وأقام له مدرسة خاصة، وهي أول مدرسة تؤسس في الإسلام في شبه الجزيرة العربية وكان (عليه السلام) يلقي دروساً في هذا العلم استفاد منها كثير من الأطباء والباحثين والمرضى في القرنين الثالث والرابع وكان من بين محاضراته التي انتفع بها الأطباء، نظريته في إمكان تنشيط الدورة الدموية عند حدوث سكتة مفاجئة، أو توقف مؤقت. (عقيل: ١٣٣٣: ٦)

لذا فان ما يضفي على البحث الأهمية الكبرى هو تناوله شيئاً من فضائل الإمام (عليه السلام) وهو كثير الفضل على الأمة الإسلامية على وجه العموم وعلى المذهب الشريف على وجه الخصوص، بالإضافة إلى ذلك كون البحث محاولة علمية موضوعية يمكن الاستفادة منها مستقبلاً في إعطاء صورة علمية واضحة عن الوعي البيئي في فكرنا العربي الإسلامي وأهمية الإرشاد البيئي والتربية البيئية في إيجاد شخصية سوية ومتوازنة ذات علاقة حيوية وإيجابية في تفاعلها مع البيئة المادية والبشرية.

أهداف البحث

حدد الباحث أهداف بحثه بما يأتي:

١- التعرف على ماهية الوعي البيئي.

٢- التعرف على الوعي البيئي في المنظور الإسلامي.

٣- التعرف على الوعي البيئي وعلاقته بالحياة الاجتماعية.

٤- التعرف على الوعي البيئي ي فكر الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) وبالمجالات التالية:

أ- الوعي البيئي النفسي.

ب- الوعي البيئي الاجتماعي.

ج- الوعي البيئي الصحي.

٥- التوصل إلى بعض التوصيات والمقترحات ذات العلاقة بالموضوع.

تحديد المصطلحات

وردت المصطلحات: الوعي، البيئة، والوعي البيئي، وفيما يأتي تعريف موجز ودقيق لكل منها:

أولاً: الوعي **(Consciousness)**

عرفه ابن منظور، ١٩٩٥:

((حف القلب لشيء وأوعاه حفظه وفهمه، ويقال فلان أوعَ من فلان، أي أحفظ وأفهم والواعي هو الحافظ الكيس)). (ابن منظور: ١٩٩٥: ٣٥٦)

وعرفه دافيدوف، ١٩٨٣:

((انه البنية الكلية للشخص أو حالة البنية العادية)).

وعرفه جويس (Jouce, 1990):

((انه امتلاك المعرفة)) (Jouce, 1990, p51)

وعرفه بيرلز (Perlis):

((انه عملية التعرف على ما نفكر به وما نشعر به وما نفعله)) (الطيب: ١٩٨٩: ٧٣).

ثانياً: الوعي البيئي **(Environmental Consciousness)**

عرفه هلسون (Helsson, 1974):

((إدراك الفرد للأحداث عند مواجهته للبيئة)) (احمد: ٢٠٠٨: ٨٤)

عرفه بينيت (Bennet, 1995):

((إدراك شيء ما في البيئة سواء كان هذا الشيء مجرداً أو محسوساً))

(Bennet, 1995, p. 63)

وعرفه أبو حيانه (٢٠٠٠):

((انه البرامج أو النشاطات التي توجه الناس عامة أو لشريحة معينة بهدف توضيح وتعريف مفهوم بيئي أو مشكلة بيئية، أي خلق اهتمام وشعور بالمسؤولية، وبالتالي تغير اتجاهاتهم ونظراتهم وإشراكهم في إيجاد الحلول المناسبة)) (أبو حيانه: ٢٠٠٠: ٢)

ثالثاً: البيئة **(Environment)**

عرفها يحيى (٢٠٠٦):

((إنها كلمة يونانية مكونة من جزأين الأول (Oikes) ومعناها السكن أو منطقة التواجد و(Logy) أي تعني عام دراسة العلاقة بين الأجسام الحية والطبيعية المحيطة بها، فهي المكان الذي يعيش فيه الفرد بما تحتويه من ظواهر طبيعية وبشرية).

(يحيى: ٢٠٠٦: ١٢١)

وعرفها سيلامي (٢٠٠١):

((بأنها الوسط الكوني، الجغرافي، الفيزيائي، والوسط الاجتماعي بمؤسساته وثقافته وقيمه، ويؤلف هذا المجموع منظومة من القوى تمارس تأثيرها على الفرد)).

(سيلامي: ٢٠٠١: ٢٦٤)

الفصل الثاني

ويقع في جزأين:

الأول: ويشمل: الإطار النظري للوعي البيئي

والثاني: النظريات التي تحدثت عن الوعي البيئي

الوعي البيئي:

لقد ورد معنى الوعي البيئي في القرآن الكري بمعنى التبوء وقد يسمى في الأدبيات النفسية والتربوية عملية التبيؤ البشري، أي العلاقة الحيوية بين الإنسان والكائنات والطبيعة مع بعضها البعض، وقد قال تعالى في كتابه الكريم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة يوسف: آية ٥٦).

ويمكن تحديد معالم التربية الإسلامية في هذا الصدد بما يأتي:

١- تنمية الوعي البيئي لدى الإنسان عن طريق تزويده بالرؤيا الصحيحة عن البيئة.

٢- تنمية وتكوين القيم والاتجاهات البيئية لدى المسلم.

٣- تنمية قدرة الإنسان على تقويم وإجراء برامج التربية والتعليم المتصلة بالبيئة من أجل تحقيق تربية بيئية أفضل.

٤- إيجاد التوازن وتعزيزه بين العناصر الاجتماعية أو الاقتصادية والبيولوجية المتفاعلة في البيئة.

٥- فهم الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية والطبيعية والوعي بقضايا التلوث. (عبد الله: ١٩٩٠: ٣)

٦- فهم الأبعاد المكانية والزمانية الذي هو شرط الحياة السليمة التي جاء بها الإسلام في الانصراف إلى التأمل الواعي في مصائر السابقين من الأجيال بهدف عدم الوقوع في أخطائهم والوقوف عند الحدود التي وضعت للإنسان، فلا يدفعه النجاح في عمارة الأرض إلى التصرف ضد إرادة الله سبحانه وتعالى (النجار: ١٩٨٣: ٢٤١).

٧- ضرورة إدراك الشخص لنفسه، وهو العلم بالنفس ويعد من أقوى الأدلة، على أن الإدراك ليس شيئاً مادياً، وما النفس إلا عبارة عن مجموعة من الأفكار والخيالات والإحساسات المتعاقبة، التي توجد في تركيب مادي معين، كما أن الإدراك في أول مراتبه مادي، أي إدراك الحاسة للشيء المحسوس، والمرتبة التالية يتعالى في العقلية، حيث يقوم الذهن بتجريد الصورة المدركة، من لوازمها المادية، والمرتبة الثالثة هي العقل والمدركات العقلية. (القبانجي: ٢٠٠١: ٢٨)

وقد أصبحت التوعية البيئية مطلباً أساسياً لكل مواطن يعيش هذا العصر، ليكون قادراً على مواجهة تحدياته، واعياً لمشكلات بيئته ومدركاً لأسبابها ووسائل حلها (سلسلة التربية البيئية، عدد٢٦، ٦١ – ٦٢)، كما أن هذا الوعي يجب أن ينطلق مع التربية البيئية التي تهدف إلى تنمية المهارات اللازمة لفهم العلاقات وتقديرها والتي تربط الإنسان بثقافته وبيئته الحيوية، وبالتالي تنمية الاتجاهات والأنماط التي تقود إلى التمكن من اتخاذ القرارات، والقدرة على تحليل المشكلات البيئية، واحترام التوازن البيئي، وحب الطبيعة.

(السعدي: ٢٠٠٢: ٢٧٥)

وللإنسان دور كبير في البيئة، مؤثراً ومتأثراً بها، فالإنسان والبيئة اسمان مرتبطان، لا يمكن أن ينفصلا عن بعض، منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى هذا الكون، حيث أحكم الله خلقها، وأتقن صنعها، كماً ونوعاً ووظيفة، قال تعالى **{صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ}** (سورة النمل: الآية ٨٨).

حيث جعل الله البيئة الإطار الذي يحتوي هذا الإنسان وجعله يتأقلم معها بتميزه بوظائف بيولوجية،، تختلف عن سائر الكائنات، ومع التقدم البشري والتكنولوجي في جميع مجالات الحياة، ((ويعرف النظام البيئي (Ecosystem) بأنه مجتمع متحد معيل نفسه ذاتياً للأحياء النباتية أو الحيوانية وبيئاتهم الفيزيائية الجامدة (غير الحية) وأي تغير في أحد المكونات يسبب تغيراً في الآخر، لأنها متكيفة مع بعضها، وان بالإمكان أن نصفها أيضاً بحالة التوازن الحركي عند العمل)). (الخالدي: ٢٠٠٤: ٢٩)

وقد زاد الاهتمام بالبيئة وعلومها ومشكلاتها، حتى اصطلح عليه في الدراسات الإستراتيجية بمصطلح (أمن البيئة) وأصبح جزءاً من مبادئ الأمن الوطني، وقد نشطت الأمم المتحدة ووكالاتها في وضع أسس لحماية البيئة والحفاظ عليها، وقد تجلى ذلك في المؤتمرات الدولية، التي عقدت لبحث قضايا البيئة، مثل مؤتمر (قمة الأرض) و(هيئة الراين)، وفي الغرب يوجد أكثر من (١٢٠,٠٠٠) هيئة أو مؤسسة تعد من أصدقاء البيئة.

ويوجد في الدول النامية أكير من (٢٠٠٠) منظمة غير حكومية وتوجد الآن شبكات عالمية لمراقبة المناخ وتتألف من عشر محطات أساسية كما تم الاهتمام بمشكلات البيئة أو ما يسمى بـ(التمزق البيئي). (حمد وصابرين: ١٩٩٠: ١١٩)

ولعل من أهم الأنشطة التي تؤثر تأثيراً قوياً وتعمل على تدمير البيئة، هي الحروب التي تخوضها الدول، فالحروب وما يرافقها من انفجارات، واستخدام أسلحة محرمة دولياً، وتجميع آليات عسكرية، والألغام غير المنفجرة، كلها تؤدي إلى الإضرار بالبيئة، وفي ضوء ذلك فان حماية وتأمين شروط البيئة الطبيعية، يزداد أهمية في عملية تجديد قوى وصحة الإنسان، أثناء التوجه لتحسين وتطوير قدراته الفيزيائية والنفسية.

(عبد اللطيف: ١٩٧٩: ١٢٤)

ويبدو واضحاً اننا لا نستطيع التعامل مع البيئة على نحو جديد، إن لم نتحكم بأنفسنا أولاً ونغير مفاهيمنا وسلوكياتنا وإدراكنا لمعنى البيئة ولابد من سبل سليمة ونوعية لسلوكياتنا البيئية وبما ينسجم وثقافتنا الإسلامية وتعليمها السمحاء المتمثلة بالإرشاد البيئي الديني المستمد والمستند إلى توجيهات وأقوال وحكم الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والمتمثلة والمتجسدة بشخصيات أئمتنا (عليهم السلام) وبالأخص إمامنا الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) وفيما يلي الوعي البيئي في فكر الإمام وبثلاث مجالات:

أولاً: في الوعي البيئي النفسي:

يقصد بالوعي البيئي النفسي هو شعور الفرد بدواخله النفسية فهناك مجال نفسي ومجال اجتماعي ومجال موضوعي ويتأثر المجال النفسي بالمجال البيئي الاجتماعي ثم الموضوعي الشامل لجميع مجالات المجتمع.. فالإنسان نظام فعال من الطاقة يرسل ويستقبل يؤثر ويتأثر.. ((ولو رأيت الدماغ، إذا كشف عنه لرأيته لُفَّ بحجب بعضها فوق بعض لتصونه من الأعراض، وتمسكه فلا يضطرب، ولرأيت عليه الجمجمة بمنزلة البيضة،

كي تقيه هذه الصدمة، والصكه التي ربما وقعت في الرأس ثم قد جللت بالشعر، حتى صارت بمنزلة الفرو للرأس يستره من شدة الحر والبرد)).. والدماغ منبع العقل الذي يمر به، وبه ميّز الخالق عزّ وجلّ الإنسان عن سائر المخلوقات الحية الأخرى وهو يعد أشد أجهزة البدن تعقيداً.. ويزن الدماغ لدى الإنسان حوالي (١٤٠ غم) ويساوي ٢٪ من وزن الجسم ويتشكل من حوالي ١٠٠٠ مليار خلية عصبية وهناك ١٠٠ مليار خلية عصبية منها تضطلع بوظائف الدماغ المعروفة من ذكاء وإبداع وعواطف ووعي وذاكرة..

وعن سالم الضرير أنَّ نصرانياً سأل الإمام الصادق (عليه السلام) عن أسرار النفس وتفصيل الجسم، فقال (عليه السلام): إن الله خلق الإنسان على اثني عشر وصلاً، وعلى مائتين وثمانية وأربعين عظماً وثلاثمائة وستين فالعروق هي التي تسقي الجسد كله، والعظام تمسكها، وللحم يمسك العظام والعصب يمسك اللحم وجعل في يديه اثنين وثمانين عظماً في كل يد أحد وأربعون عظماً، منها في كفه خمسة وثلاثون عظماً، وفي ساعده اثنان وفي عضده واحد وفي كتفه ثلاث فذلك أحد وأربعون عظماً، وكذلك في الأخرى، وفي رجله ثلاثة وأربعون عظماً، منها في قدمه خمسة وثلاثون عظماً وفي ساقه اثنان، وفي ركبته ثلاث، وفي فخذه واحد وفي وركه اثنان وكذلك في الأخرى، وفي صلبه ثماني عشر فقرة وفي كل واحد من جنبيه تسعة أضلاع وفي وقصته ثمانية، وفي رأسه ستة وثلاثون عظماً وفي فيه ثمانية وعشرون أو اثنان وثلاثون عظماً)).

وعن كيفية انعكاس الدماغ على البيئة وحصول الوعي.. تتكون الأعصاب من استطالات الخلايا العصبية المتوضعة في كل من الدماغ والنخاع الشوكي وتخدم الأعصاب في نقل مختلف التنبيهات العصبية من كافة أعضاء البدن إلى الجملة العصبية المركزية، كما تنقل الأوامر من الجملة العصبية المركزية إلى كافة أعضاء البدن، وتتراوح سرعة انتقال التنبيهات العصبية في الأعصاب ما بين (٠,٢٥ – ١٠٠ م/ثا) ويمكن للعصب أن ينتقل أكثر من (١٠٠٠) تنبيه في الثانية الواحدة..

ولم يعرف العلماء كيفية مرور التنبيه العصبي ضمن الأعصاب إلا منذ عهد قريب، وعلى أيدي ثلاثة علماء هم البريطانيان (آلان لويد هود جكين، واندرو فندنج هكسلي) والاسترالي (جون كارو اكلز) الذي حازوا على جائزة نوبل على هذا الاكتشاف عام ١٩٦٣، وقد وجد هؤلاء العلماء إن التنبيه العصبي، يؤدي إلى تغير في الاستقطاب الكهربائي على غشاء الخلية العصبية، فتتولد من ذلك شحنة كهربائية تتناسب مع نوع التنبيه ومقداره وتسري ضمن العصب إلى المركز العصبي ثم إلى الجملة العصبية المركزية، التي تقوم بترجمة هذه الشحنة إلى الأحاسيس المختلفة مثل حس الألم أو البرودة أو السمع أو البصر، وقد اكتشف العلماء حتى الآن أكثر من (٦٠ مادة) عصبية نخدم في نقل التنبيهات العصبية... ومن أقوال وحكم الإمام الصادق (عليه السلام) في البيئة الداخلية للإنسان ((من جعل الرئة مروحة الفؤاد لا تفتر ولا تختل لكيلا تتحير الحرارة في الفؤاد، فتؤدي إلى التلف، فيفسد على الإنسان عيشه فكم عسى أن يحصي المحصي من هذا، بل الذي لا يحصى منه ويعلمه الناس أكثر)).

ويعني ليس النفس مجرد شهيق وزفير بل أكثر تعقيداً، انه عملية استخراج الطاقة من الغذاء، للنفس بدون شك علاقة بالصدر والرئتين والمجرى الدموي، كذلك يتبادل الهواء (التهوية) وأخذ الأوكسجين ولفظ ثاني اوكسيد

الكاربون على مستوى الخلايا، التنفس بمعناه الأوسع واحد من أهم مظاهر كيمياء المادة الحية (عقيل: ١٣٣٣: ٥٤٥).

وعن تغذية الطفل قال الإمام (عليه السلام) ((فحين يولد قد تلمض، وحرك شفتيه للرضاع فهو يجد ثدي أمه كالأداتين المعلقتين لحاجته، فلا يزال يتغذى باللبن مادام رطب البدن، رقيق الأمعاء، لين الأعضاء)).

وقال الإمام (عليه السلام) في النظافة ((قيل له البول أقذر أم المني، قال البول، قال يجب على قياسك أن يجب الغسل من البول دون المني وقد أوجب الله الغسل من المني دون البول، ثم قال لأن المني اختبار يخرج من جميع الجسد ويكون في الأيام والبول ضرورة ويكون في اليوم مرات)) (عقيل: ١٣٣٣: ٥٥٢)).

ثانياً: في الوعي البيئي الاجتماعي:

عن أبي الأصبغ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: بني الجسد على أربعة أشياء، الروح، العقل، والنفس، فإذا خرج الروح تبعه العقل فإذا رأى الروح شيئاً حفظه عليه العقل، وبقي الدم والنفس، ويعني أن العقل هو الذي يسير الإنسان في أعماله اليومية وتفاعلاته الاجتماعية وبدونه تقف أعمال الحياة، والإنسان مذ ولد وشب في الحياة، كان عرضة للمهالك، محاطاً بمكاره الطبيعة، وصدمات المحيط، على انه لا يملك من القوة الطبيعية والإلهامات الفطرية مثلما يملك الحيوان، الذي منح إلهاماً خاصاً وإدراكاً محدوداً يسيرانه في طريق الحياة بدافع فطري لا يختلف ولا يحتاج إلى روية وفكر.

وفي الطبائع، عن صفوان بن السبع، عن منذر بن هامان عن محمد بن مسلم وسعد المولى، قالا: قال أبو عبد الله (عليه السلام) إن عامة هذه الأرواح من المرة الغالبة أو دم محترق أو بلغم غالب فليشتغل الرجل بمراعاة نفسه، قبل أن يغلب عليه شيء من هذه الطبائع فيهلكه)).

وعن الأثر السلوكي لشراب الخمر وأكل لحم الخنزير: قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) إن الله تبارك وتعالى مسخ قوماً في صور شتى شبه الخنزير والدب والقرد وما كان من الأمساخ، ثم نهى أكل المثلة نسلها لكيلا ينتفع الناس بها ولا يخفف بعقوبة)) أما الخمر فانه حرمها لفعلها وفسادها وقال: مدمن الخمر يورثه الارتعاش ويذهب بنوره ويهدم مروءته ويحمله أن يجسر على المحارم من سفك الدماء، وركوب الزنا والخمر لا تزيد شاربها إلى كل شر.

كما ثبت علمياً بأن الخنزير سبب العديد من الأمراض وتأثيره على سلوك آكله في العفة والشرف ومن الأمراض التي يسببها:

١- أمراض طفيلية: إذ يصاب الخنزير بحوالي ٦٦ مرضاً من الأمراض الطفيلية و٣٠ مرضاً منها يمكن نقله إلى الإنسان.

٢- أمراض فيروسية: ينقل الخنزير ثمانية أمراض من أصل ٣٤ مرض فيروسي.

بالإضافة إلى أمراض أخرى كالأمراض الفطرية أو أمراض التغذية، وقال بن خلدون ((أكلت الأعراب لحم الإبل فاكتسبوا الغلظة، وأكل الأتراك لحم القرش فاكتسبوا الشراسة، وأكل الإفرنج لحم الخنزير فاكتسبوا الدياثة)) (عقيل: ١٣٣٣: ٦٠١).

ولقد قام العلماء بعدد كبير من التجارب على الأطفال، لمعرفة تأثير المغذيات على شخصيتهم وسلوكهم، فانعدام وجود الفيتامين أو النشويات أو الأحماض الأمينية في الأطعمة أثر تأثيراً بالغاً على سلوكهم وان سوء التغذية يؤثر على سلوكهم الاجتماعي والعقلي والحسي وانهم يتأخرون في عملية التعلم والفهم والإدراك.

ثالثاً: في الوعي البيئي الصحي:

عن داود الرقي قال: حضرت أباب عبد الله الصادق (عليه السلام) سأله رجل شاكياً من وجع رأسه فقال له: قم من ساعتك هذه فادخل الحمام ولا تبتدئن بشيء حتى نصب على رأسك سبعة أكف ماء حار وسمِّ باسم الله تعالى في كل مرة فانك لا تشتكي بعد ذلك إن شاء الله (الموسوي: ٢٠٠٩: ٢١٤)

وتحدث الإمام في شفاء العين والإذن حيث قال:

((السواك يذهب بالدمعة ويجلو البصر))

وفي علاج الشقيقة فقال:

إذا فرغت من الفريضة فضع سبابتك اليمنى بين عينيك وقل سبع مرات:

((يا حنان يا منّان اشفني)) وأمررها على حاجبك الأيمن ثم مرها على الأيسر وقل: ((يا منّان اشفني))

ثم ضع راحتك اليمنى على هامتك وقل:

((يا من سكن له ما في الليل والنهار وما في السموات والأرض صلِّ على محمد وآل محمد وسكّن ما بي)) (الموسوي: ٢٠٠٩: ٢٢٢).

وقال الإمام (عليه السلام) في آداب التطبب والتنظيف والاكتحال والتدهن قال: قال الله عزَّ وجلَّ لإبراهيم، تطهّر فأخذ شاربه ثم قال تطهر فنتف من أبطه ثم قال تطهر فقلم أظفاره، ثم قال تطهر فحلق عانته ثم قال تطهر فاختتن.

كما قال (عليه السلام): ((كره الغسل تحت المساء بغير مئزر، وكره دخول الأنهار إلا بمئزر وقال في الأنهار عمّار وسكان من الملائكة، وكره دخول الحمامات إلا بمئزر وكره دخول الحمامات إلا بمئزر)).

كما أكد الإمام (عليه السلام) على البيئة الواسعة أو السكن الواسع إذ قال (عليه السلام) ((إن من سعادة المرء المسلم أن يشبهه ولده، والمرأة الحجلاء ذات دين، والمركب الهني، والمسكن الواسع)).

وقال الإمام (عليه السلام) عن يونس بن يعقوب قال سألت أبا عبد الله عن الرجل يشرب الدواء وربما قتله وربما يسلم منه وما يسلم أكثر قال: فقال انزل الله الداء وأنزل الشفاء، وما خلق الله داء إلا جعل له دواء، فاشرب وسمِّ الله (دار المتقين: ٢٠٠٩: ٢٠٢).

النظريات التي تحدثت عن الوعي البيئي

أولاً: نظرية الكشتالت:

وتعني الصورة أو الشكل وهي كلمة ألمانية ومن أبرز علمائها كوفكا وكهلر وفرتيمر ظهرت في القرن التاسع عشر كرد فعل للمدرسة السلوكية التحليلية. وظهرت هذه المدرسة في القرن التاسع عشر ومن أهم أفكارها:

- ترى أن العقل والجسم ليسا كائنين منفصلين فالعقل لا يتكون من ملكات أو عناصر مستقلة كذلك لا يتكون الجسم من أعضاء أو عمليات منفردة ((وينشأ هذا الرأي عن دراسة الإنسان ككائن بيولوجي متكامل في حركاته الفكرية والجسمية وفي رأي علماء الكشتالت، إذا ما أردنا أن نفهم لماذا يقوم الكائن بالسلوك الذي يسلكه، فلابد أن نفهم كيف يدرك هذا الكائن نفسه ويعي سلوكه والموقف الذي يجد نفسه فيه)).

(المعايطة: ٢٠٠٢: ٢٣)

- إن دور العقل إيجابي نشط في تنظيم وتبسيط وكشاب المثيرات أو المعلومات الحسية للمعاني والدلالات وليس دوراً إذعانياً جامداً أو سلبياً كما يرى السلوكيون.
- إن نشاط المخ يقوم على التفاعل الدينامي الحي مع محتواه (أبو رياش: ٢٣٦).

ثانياً: المدرسة الوظيفية:

ظهرت في أمريكا عام ١٨٩٨ وهي تبحث في الأسئلة الثلاثة ماذا؟ وكيف؟ ولماذا؟ ويتوقف ذلك على معرفتنا بمراكز الحس والأعصاب الحسية وإذا كان السؤال كيف يعي الإنسان؟ فان جزءاً من الجواب موجود في فاعلية الدماغ ومن أبرز علمائها موللر وكولب ومارب وميثوت وجون ديوي وتركز على وظيفة العقل ودوره.

ثالثاً: المدرسة البنائية:

وأصل هذه المدرسة ألماني عام ١٨٧٩ وظهرت في أمريكا وقد درست الوعي عن طريق العالم (وليم جيمس) العالم الفرنسي والعالم الانكليزي جيمس سوللي والعالم فونت وأكدوا على الخبرة الداخلية وإحساسنا الخاص ووعينا واننا نقي الأشياء الخارجية عنا كما نقي أفكارنا وعواطفنا داخل ذواتنا وعلى علم الوعي أن يدريهما.

(موسوعة علم النفس: ٢٠٠٥: ١٠٩)

رابعاً: مدرسة التحليل النفسي:

بدأت في النمسا عام ١٩٠٠ وترى بأن الوعي من المركبات القادرة على تكوين الأفكار التي ترتبط مباشرة بالأنا، ففي السنوات الأولى من الحياة يندر أن يوجد شعور أولاً ومنذ أن يبدأ الطفل بالقول (أنا) تتكون شخصيته الواعية وقد أكد ذلك كل من فرويد ويونك إذ قسم فرويد مستويات الإدراك إلى الوعي وما قبل الوعي واللاوعي. (موسوعة علم النفس: ٢٠٠٥: ٤٨).

خامساً: المدرسة القصدية:

وهي مدرسة بريطانية بدأت سنة ١٩٠٨، وتسمى بالنشاط القصدي لمكدوجال والنشاط القصدي عنده نشاط عقلي وادراك للموقف لبلوغ الهدف أو القصد وهو لا يتحقق إلا بالوعي والادراك.

الفصل الثالث

الاستنتاجات

التوصيات

المقترحات

الاستنتاج

استنتج الباحث ما يأتي:

١- تأكيد الدراسات والبحوث بتوصياتها حول دراسة الوعي البيئي وبيان أهميته في الحياة الاجتماعية.

٢- شمولية نظرة الإسلام للوعي البيئي وتميزها عن باقي الرؤى والأفكار.

٣- إن من أسباب تميز لنظرية الإسلامية في الوعي البيئي هي تشربها واستنادها إلى علم آل البيت الكرام (عليهم السلام) المنحدر من جدهم رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

٤- لقد سبقت ؤية وفكر الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) في الوعي البيئي ما جاء به الغرب من علماء المدرسة الكشتالية والوظيفية والبنائية والقصدية، فقد تناول العقل والجسد والروح والقلب وتكاملهما الوظيفي في الحياة.

٥- أعطى الإمام الصادق (عليه السلام) معنى أوسع للوعي البيئي في كونه يشم نظافة الجسد والروح فيمثل بالوعي النفسي الداخلي والوعي الخارجي الاجتماعي والبيئي.

٦- ربط الإمام (عليه السلام) بين الوعي البيئي والأخلاق الفاضلة والالتزام الديني المتمثل بالوعي الديني، فالنشاط العقلي ليس نشاطاً عبثياً وإنما مقيد بأمور الالتزام بالقواعد الدينية والأخلاقية.

٧- لقد تناول الإمام (عليه السلام) وأشار إلى الهندسة البشرية وهي العلم الذي يدرس هندسة العوامل البشرية وتطابق البشر وأدواته أي الاستخدام الأمثل للتنظيمات المهنية والتكنولوجيا الحديثة وقد سبق العالم فردريك تايلر في القرن التاسع عشر عندما أوجد هذا المصطلح ويسمى (الاركونوميا) ((وهو علم متعدد المداخل ويسمى بالعلوم البيئية (Interdisciplinary) أو هندسة العوامل البشرية (Human Factors Engineering) وهي التوافق والمطابقة والملائمة بين البشر والأشياء.

التوصيات:

يوصي الباحث بما يأتي:

١- الإعداد لندوات ودورات وورش عمل في التوعية بأهمية الوعي البيئي.

٢- الاهتمام بالباحثين والبحوث المتعلقة بالوعي البيئي وضمن مجال علم النفس البيئي (الايكولوجي).

٣- إعداد مؤتمرات علمية بين الحوزة الدينية والتربية والتعليم حول موضوع الوعي البيئي والتربية البيئية.

٤- إعداد مجلة خاصة بالوعي البيئي في علم آل البيت الكرام (عليهم السلام).

٥- تضمين موضوع الوعي البيئي في فكر الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) في المناهج الدراسة وسب التدرج العقلي لمراحل نمو الطالب.

المقترحات:

اقترح الباحث:

١- إجراء دراسات أخرى وبطرائق مختلفة لغرض مقارنة النتائج واستمراراً لموضوعية البحث.

٢- أن تعمم نتائج البحث الحالي ذلك بعد مقارنتها وإقرارها من قبل الجهات المختصة ولأغراض علمية وإعلامية.

المصـــــــادر

- القرآن الكريم.
١- مجلة البيئة العدد ١١ لعام ٢٠٠٠م.
٢- التلوث، مشكلة العصر، سلسلة عالم المعرفة، قوة الحي، مبادئ في علم البيئة، جان دورست.
٣- أبو رياش، زهرة عبد الحق (٢٠٠٧)، علم النفس التربوي، الأسس النظرية والتجريبية، القاهرة، دار النهضة.
٤- سيلامي، توبير (٢٠٠١)، المعجم الموسوعي في علم النفس، الجزء الأول، ترجمة: وجيه أسعد، دمشق، وزارة الثقافة.
٥- المراياتي، كامل جاسم (١٩٩٤)، مقدمة في علم التبيؤ البشري، الايكولوجيا البشرية، ط١، بغداد، بيت الحكمة.
٦- موسوعة التربية وعلم النفس (٢٠٠٥)، علم النفس الشامل، الجزء الثاني، بيروت.
٧- المعايطة، عبد العزيز (٢٠٠١)، المدخل إلى علم النفس، ط٢، عمان، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع.
٨- القبانجي، احمد (٢٠٠١)، الإدراك لدى المسلمين، ط١، سلسلة النفس ٢٣، مطبعة السرور.
٩- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (١٩٥٦)، لسان العرب، بيروت، دار النهضة العربية.
١٠- الطيب، محمد عبد الظاهر (١٩٨٩)، تيارات جديدة في العلاج النفسي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.
١١- احمد، بيداء هاشم جميل (٢٠٠٨)، تأثير بعض المتغيرات في الإدراك البنائي، أطروحة مقدمة إلى جامعة بغداد/ مجلس كلية الآداب.
١٢- التربية البيئية (١٩٨٨)، عملية وضع منهج دراسي لتدريب المعلمين قبل الخدمة، سلسلة التربية البيئية، عدد٢٦.
١٣- أبو حياته، رائد (٢٠٠٠)، محاضرة الإنسان والبيئة، مشروع الإستراتيجية الإقليمية، مكون التوعية البيئية، ورشة عمل للتوعية البيئية.
١٤- دافيدوف، لندا (١٩٨٣)، المدخل إلى علم النفس، ترجمة: السيد الطواب، الرياض، المكتبة الأكاديمية، دار المريخ.
١٥- يحيى، محمد نبهان (٢٠٠٦)، طرائق تدريس الاجتماعيات، وتطبيقاتها العلمية، عمن، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع.

١٦- عبد الله، عبد الله سالم (١٩٩٠)، مشكلة التصحر في محافظة ذي قار وسبل الحد منها، رسالة مقدمة إلى جامعة البصرة/ كلية التربية.
١٧- السعدي، حسين علي (٢٠٠٢)، علم البيئة والتلوث، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات.
١٨- عبد اللطيف، عصام (١٩٧٦)، الإنسان والبيئة، بغداد، منشورات وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية.
١٩- حمد، رشيد محمد، سعيد صابرين (١٩٩٨)، الآثار الاجتماعية للحرب العالمية الثانية، مجلة الحكمة العدد ١.
٢٠- الخالدي، نيران محمود سلمان، أثر اختلاف مستويات نهر دجلة في تغير النظام البيئي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد.
٢١- عقيل، محسن (١٣٣٣)، طب الإمام الصادق (عليه السلام)، ط٣، مطبعة سليمانزاده.
٢٢- الموسوي، محسن النوري (٢٠٠٩)، خزانة الإمام الصادق (عليه السلام) في قضاء حوائج الدنيا والآخرة، دار المتقين للثقافة والعلوم والطباعة والنشر، بيروت.
٢٣- السمان، احمد سعدون، الهندسة البشرية وانعكاساتها، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة الموصل.

المصادر الأجنبية:

1- Joyce Hpwking (1990), The Oxford large dictionary, third education. New York, Oxford University Press.
2- Bennet (1995), Early Development of Perception, Action and Representation Manual Reviews.